**محاضرات في النقد القديم للدكتورة فتيحة حسيني العام الدراسي 2023\2024**

**المحاضرة الأولى**

**النقد في العصر الجاهلي**

**تعريف النقد اللغة :**

استعملت اللغة العربية لفظ (النقد) لمعان ٍ مختلفة : الأول : تمييز الجيد من الرديء ، قالوا : نقدت الدراهم وانتقدتها : أخرجت منها الزيف وميزت جيدها من رديئها، ومنه : التـنقاد والانتقاد ، وهو تمييز الدراهم وإخراج الزائف منها. والثاني: العيب والانتقاص. قالت العرب: نقدته الحية إذا لدغته ، ونقدت رأسه بأصبعي إذا ضربته , ونقدت الجوزة أنقدها إذا ضربتها . وفي حديث أبي الدرداء : (إن نقدت الناس نقدوك ) ، ومعناه إن عبتهم وجرحتهم قابلوك بمثل صنيعك .

في القاموس المحيط ولسان العرب وغيرهما: النقد و لتّنقاد والانتقاد تمييز الدّراهم وإخراج الزّيف منها، وهناك معنى لغوي آخر يدلُّ عليه قولهم أيضا نقدتُ رأسَهُ بإصبعي إذا ضربتُهُ ونقدت الجوزة أنقدها إذا ضربتها..

نقدتُ الدّراهَم وانتقدتها أخرجتُ منها الزَّيف فهذا المعني اللّغوي الأول يشير إلى أنّ المراد بالنقد التمييز بين الجيد والرّديء من الدّراهم والدنانير، وهذا يكون عن خبرة وفهم وموازنة ثمّ حكم سديد ..

**تعريف النقد اصطلاحا:**

النقد الأدبي في الاصطلاح هو تقدير النّصّ الأدبي تقديرا صحيحا وبيان قيمته ودرجته الأدبيّة ولإيضاح هذا التعريف وتحليله نستطيع أن نذكر بجانبه الملاحظات الآتية:  
**بدايات النقد الأدبي عند العرب :**  
تعود بداية النقد العربي إلى العصر الجاهلي وكان وراء ظهوره عوامل أهمها ؛ خروج العرب من جزيرتهم والاتصال بالبلدان الأخرى المجاورة كالشام والعراق وبلاد فارس بدافع التجارة أو الحروب يضاف إلى ذلك مظاهر التعصب القبلي الذي كان سائدا بين القبائل وقد كان لهذه العوامل أثرها في ظهور النقد الأدبي وازدهاره ورغم أن بدايته كانت ساذجة بسيطة فإنه قد ساعد على تطوير شعرهم بما يقدم من ملاحظات حيث كان الناس معجبين بالشعر يستمعون ويتأملون قصائد الشعراء ويشيرون إلى مواطن القوة ومواطن الضعف فيفضلون شاعرا على آخر لفحولته وحسن إصابته أو ما تفرد به في شعره عن غيره ...

نماذج و صور من النقد في العصر الجاهلي:

**النموذج الأول:** نقد ارتجالي

ومن أبرز مظاهر النقد الجاهلي ما كان يجري في سوق عكاظ المشهورة التي كانت سوقا تجارية وموعدا للخطباء والدعاة وكانت في آن واحد بيئة للنقد الأدبي يلتقي فيها الشعراء كل عام ليتنافسوا ويعرضوا ما جاءت به قرائحهم من أشعار، ومما ذيع في كتب الأدب أن الشاعر النابغة الذبياني كانت تضرب له قبة حمراء ، من جلد في ناحية من السوق فيأتيه الشعراء ، ليعرضوا عليه أشعارهم ومما يروى في ذلك أن الأعشى أنشد النابغة مرة شعرا ثم أنشده حسان بن ثابت ثم شعراء آخرون ثم أنشدته الخنساء قصيدتها في رثاء صخر أخيها التي قالت فيها:

**وان صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار**

فقال النابغة: لولا أن أبا بصير" يعني الأعشى" أنشدني من قبل لقلت أنك اشعر الأنس والجن.

**النموذج الثاني:**ما تعلق بالجانب الصوتي

وقد أعاب العرب كذلك على النابغة بعض الإقواء الذي لوحظ في شعره في قوله :

**امن آل مية رائح أو مغتد يعجلان زار زاد وغير مزودِ**

**زعم البوارح أن رحلتنا غدا وبذاك حدثنا الغداف الأسودُ**

حيث اختلفت حركة الروي مما يؤدي إلى خلل موسيقي وقد فطن النابغة إلى ما وقع فيه ولم يعد إلى ذلك في شعره.

**النموذج الثالث:** تلقيب القصائد

وأورد حما د الراوية أن شعراء القبائل كانوا يعرضون شعرهم على قريش فما قبلته كان مقبولا وما ردته كان مردودا،وقد قدم عليهم مرة علقمة بن عبدة فأنشدهم قصيدة يقول فيها :  
هل ما علمت وما استودعت مكتوم ؟ فقالوا : هذا سمط الدهر أي رائع وسيبقى في ذاكرة التاريخ.

**النموذج الرابع :**ما يتعلق بالصياغة

وقد سمع طرفة بن العبد المتلمس مرة ينشد بيته :

**وقد أتناسى الهم عند احتضاره بناج عليه الصيعرية مكدم**

فقال طرفة :

استنوق الجمل لان الصيعرية سمة في عنق الناقة لا في عنق البعير.

سمات النقد و خصائصه :

من أهم خصائص النقد في العصر الجاهلي أنه يتسم بالجزئية و الذاتية و الانطباعية و عدم التعليل فهو نقد جزئي لأنه لا يولي أهمية لكل أجزاء القصيدة , فطري يصدر عن ذاتيته و الأثر الذي تتركه القصيدة في نفسيته للوهلة الأولى , و غير معلل لأنه لا يقدم تفسيرا بين يديه .

ونلاحظ من خلال هذه الشواهد أن النقد الجاهلي كان يعنى تارة بملاحظة الصياغة أي الشكل وتارة أخرى بملاحظة المعاني من حيث الصحة والخطأ ومن حيث الانسجام المطابق للسليقة العربية.

**المحاضرة الثانية**

**النقد في صدر الإسلام**

سوف لن نتطرق إلى قلة الشعر في هذا العصر ولكننا سنتتبع معالم النقد على ضوء الشعر الموجود

سواء تلك الأحكام النقدية التي صدرت على الشعر الجاهلي أو على الشعر الإسلامي المعاصر.

وإذا حاولنا الوقوف على معالم النقد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، لابد لنا أن نأتي بأمثلة من الأحكام في ذلك الوقت ، والمشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يستمع إلى الشعر ويعجب به متى كان حقا ليس فيه عبث ولا كفر، وكان يستنشده ويتمثل به ويثب عليه، فيقال أنه أعطى بردته لكعب تبن زهير لما انشده قصيدته:

**بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم أثرها لم يفد مكبول**

ويروي أنه كان صلى الله عليه وسلم يتمثل بشعر طرفة فيقول:

**ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود**

ويقول : هذا من كلام النبوة.

وكان صلى الله عليه وسلم يستنشد الخنساء بعد أن أسلمت قائلا : «هيه يا خناس»، ويوميء بيده، كما أنه كان يقول : أن من الشعر لحكمة أو أن من البيان لسحرا، وتمثله صلى الله عليه وسلم بالشعر دلالة على أنه كان يعجب بما يثمتل به .  
نقل الرواة أن نابغة بني جعدة قدم المدينة مع وفد من وجهاء قومه للقاء الرسول فانشده قوله من الطويل:

**بلغنا السماء ممجدا وجودنا ....... و انما لنرجو فوق ذلك مظهرا**

و قد أحس الرسول بعد سماعه هذا البيت أن النابغة يفتخر بشعر الجاهليين فسأله إلى أين يا أبا ليلى فأجاب إلى الجنة يا رسول الله ,فستبشره الرسول بجوابه و قال له نعم إلى الجنة إن شاء الله .  
فإذا وصلنا إلى الخلفاء الراشدين نجد أن عمر ابن الخطاب كان ذا بصر بالشعر وعلم به ، وقد اشتهر بذلك من بين الخلفاء الراشدين ، فكان يصدر أحكاما على الشعراء الذين كان يتذوق شعرهم ويعجب به وكثيرا ما يردده ، فهو يسمى زهيرا قاضي الشعراء لهذا البيت الذي كان يعجب به :

**فإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء**

وفي كتب الأدب نجد رواية عن عبد الله بن عباس قال: خرجنا يوما مع عمر ابن الخطاب رضي الله عنه في سفر، فرفع عقيرته ينشد:

**فما حملت من ناقة فوق رحلها ابر وأوفى ذمة من محمد**

ثم وضع السوط على رجله وقال : استغفر الله العظيم ، ثم عاد فأنشد حتى فرغ، ثم قال : يا لبن عباس، ألا تنشدني لشاعر الشعراء؟ فقلت يا أمير المؤمنين، ومن شاعر الشعراء؟ قال زهير، قلت : لما صيرته شاعر الشعراء؟ قال : لأنه لا يعاظل بين الكلامين ولا يتتبع وحشي الكلام، ولا يمدح أحدا إلا بما فيه. وفي رواية أخرى أنه لما سأله عن أشعر الشعراء: من هو؟ قال الذي يقول:

**ولو أن حمدا يلد الناس أخلدوا ولكن حمد الناس ليس بمخلد**

فقال ابن عباس: ذلك زهير .. إلى آخر الرواية .

يقول الدكتور محمد مصطفى هدارة : « وإعجابه بزهير الجاهلي إنما هو إعجاب معلل، تنبني النظرة النقدية فيه على أساس  فني و خلقي معا» .

ونلاحظ بالطبع أن هذه النظريات والأحكام مخالفة لما ألفناه بعض الشيء، ففي هذا بعض التعليل والتفصيل نوعا ما.

**إلا سليمان إذ قال الإله له قم في البرية فاحددها عن الفند**

قالوا : النابغة، قال : فمن الذي يقول :

**أتيتك عاريا خلقا ثيابي على خوف تظن بي الظنون**

قالوا : النابغة قال : فمن الذي يقول :

**حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مدهب**

قالوا : النابغة ، قال : فهذا هو الشعر العرب .

ونلاحظ في هذه الرواية تفصيلا أكثر، إلا أننا نجد تضاربا بين هذا الحكم الذي يجعل النابغة في القمة، والأول الذي يجعل زهيرا في القمة، ولكن إذا صحت هاتان الروايتان، فإن ذلك قد لا يدل على تضارب في أفكار عمر بن الخطاب وحكامه، وقد رضي الله عنه من أبصر الناس بالشعر وأقدره على تقويمه وتمييزه، وإنما يدل هذا على أن النقد – وإن كان قد أصابه نوع من التطور على يد عمر حين يعلل – فإنه لا يزال من ناحية أخرى امتدادا للنقد الجاهلي، فالناقد كثيرا ما يعجب بقول شاعر، ولكنه حين يسمع قول شاعر آخر يؤثر فيه فيستحسنه وسرعان ما ينسى حكمه السابق فيحكم على هذا بأنه أشعر الشعراء، وكما ذلك إلا لأن تلك الأحكام إنما هي وليدة ساعتها وليست نتيجة التأمل والروية، غير أن هناك رواية أخرى لهذا الخبر الذي يروي عن عمر، يجعل من النابغة في رأيه أشعر غطفان فقط لا أشعر العرب جميعا وبذلك ينتفي التناقض .

وإذا كان النقد في الجاهلية يهتم في الغالب بالصياغة، فإن عمر يعجبه المعنى فيصدر أحكامه تبعا لتأثير تلك المعاني فيه، ورغم ذلك فأحكامه بلا شك لها قيمتها. يقول الدكتور محمد مصطفى هدارة: «كان لتوجيه العربي ... ومحاولة رد الشعراء إلى جادة الحق ...» وإذا كان أغلب النقاد أو أكثرهم قد اجمعوا على أن النقد في بداية صدر الإسلام كان جامدا، وصورة وامتدادا للنقد الجاهلي ، فما ذلك إلا لأن الأحكام النقدية التي نجدها في هذه الفترة قليلة، باستثناء أحكام عمر بن الخطاب، وبذلك نتجاوز هذه

على معالم النقد في هذه الفترة ومدى ما أصابه من تطور .  
يقول الدكتور شوقي ضيف : «على كل حال لا ينمو ولا يقوى في عصر صدر الإسلام، وإنما ينمو ويقوى في العصر الأموي حين استقر العرب في المدن والأمصار وتأثروا بالحضارات الأجنبية من .جانبيها المادي والعقلي».

**المحاضرة الثالثة**

**النقد في العصر الأموي**

**مدارس النقد في العصر الأموي:**

إن المدارس النقدية في العصر الأموي ثلاث مدارس وهي: مدرسة الحجاز، ومدرسة الشام، ومدرسة العراق،لكل مدرسة اتجاهها وأعلامها.

**أولاً – مدرسة الحجاز:**

وهي مدرسة الغزل وكان النقد فيها مطبوعاً بطابع الذوق الفني والرقة، تبعاً لأدب هذه البيئة الذي شاع فيه ما شاع فيها من رقة وخفة وظرف، وتذوق رفيع للجمال وأساليب القول.

يقول الأستاذ أحمد أمين وهو بصدد حديثه عن الحجاز في العصر الأموي: أنه نشأ فيه أدب رقيق يتفق وروح العصر، فيه دعابة وفيه وصف للنساء صريح، وفيه قصص لأحداث الشعراء مع النساء .... هذا الأدب الجديد في هذه البيئة اللاهية استتبع كذلك رقياً في النقد يدل على رقي في الذوق.والنقد في هذه المدرسة غالبا ما اتجه الى المعاني التي وعاها النص، والتي كان الناقد يعرضها على ذوقه الحضري، فيقبل منها ما يراه موائما لهذا الذوق، وما هو أليق لعاطفة الحب وأنسب لفن الغزل.

وقد اشتهر نقد أصحاب هذه المدرسة بنقد الذواقين تارة وبنقد الشعراء تارة أخرى، والمراد بالذواقين جماعة النقاد الذين اشتهروا بتذوق الشعر وتدارسه وتقويمه وإبداء رأي فيه وإن لم ينظموه ويتفرغوا له، والمراد بنقد الشعراء جماعة النقاد الذين نقدوا الشعر وهم شعراء وصدر نقدهم عن تجربة شعورية، وجمع نقدهم بين النظرية والتطبيق.

ومن أشهر النقاد الذواقين في هذه المدرسة ابن أبي عتيق فقد كان له تميز ظاهر بين نقاد العصر الأموي، فإذا ما كانت الكثرة الغالبة منهم تنقد الشعر حين تتاح لهم فرصة نقده فقد كان ابن أبي عتيق يخلق هذه الفرصة ويعطي الشعر ونقده نفسه ووقعته ما قد يتيح لقائل أن يقول: إنه جعل ذلك شغله، وتكلم فيه بما يصلح أن يكون أسسا وأصولا ومقاييس في نقد الأدب.

فمثلا نراه يقدم عمرو بن أبي ربيعة، ويؤثر شعره، ويفضله على غيره من شعراء مذهبه الغزلي، ويقول "لشعر ابن أبي ربيعة نوطة بالقلب، وعلوق بالنفس ودرك للحاجة، وليست لشعر غيره. وما عصى الله جل ذكره بشعر أكثر مما عصى بشعر عمرو بن أبي ربيعة. فخذ عني ما أصف لك: أشعر الناس من دق

معناه، ولطف مدخله، وسهل مخرجه، ومتن حشوه، وتعطفت حواشيه، وأنارت معانيه، وأعرب عن حاجته.

فهذا لون من الملاحظات النقدية والمقاييس الأدبية التي رآها وعرضها ابن أبي عتيق للشعر الجيد والشاعر البارع، وهي مقاييس هامة، تكشف عن تطور الوعي النقدي وتقدمه، وقد صار لها شأنها في مجال النقد، وكانت درجة أرقى عليها النقد الأدبي في طريق الموضوعية، والأسس العلمية.

وأهم الأصول النقدية التي ينبغي مراعاتها في صناعة الشعر ونقده في كلام ابن عتيق السابق هي:

* أثر الشعر في النفوس وتأثيره في القلوب وعلوقه بها وإدراك الحاجة به.
* الشعر الجيد ما أثر في نفس سامعيه حتى يحسوا بما أحس به صاحبه.
* الشاعر المجيد هو من ينقل مشاعره الى غيره نقلاً أميناً عن طريق افتتانه في تصوير عواطفه وتفننه في إبداع تجربته.
* مخالفة شعر ابن أبي ربيعة لمبادئ الدين والخلق لم تقلل من جماله الفني باعتباره شعراً تجمعت فيه خصائص الشعر الجيد – فيما رآه .
* أبان الناقد في الجزء الأخير من النص عن المقاييس الفنية التي يحتكم إليها عند المفاضلة بين الشعراء وهي فيما رأى:
* دقة المعنى، ورقة اللفظ، ولطفه، وسهولة المخرج بمعنى: حسن التخلص في الانتقال من غرض الى غرض ومتانة الحشو أي: ترابط النص وتماسك أجزائه. وهذه المقاييس النقدية لا يستهان بها في مثل ذلك العصر.
* فالرؤية النقدية للشعر عند أبي عتيق فن مبعثه ومنبته الذوق غايته التكيف مع العمل الفني وإدراك معطياته الحضارية والجمالية، وهي فن المتعة والتذوق والتأثير، وهذا أسمى ما وصل إليه النقد الحديث.
* وبهذا يكون قول ابن أبي عتيق قد شمل العمل الفني من جوانبه حيث ألمح إلى الجانب النفسي في شقه الأول، وأدرك الجوانب الحيوية للعمل في شقه روي أنه اجتمع بالمدينة راوية جرير وراوية نصيب وراوية كثير وراوية جميل وراوية الأحوص، فادعى كل منهم أن صاحبه أشعر.

ومن النقاد الشعراء الذين جمعوا بين قول الشعر وتذوقه كثير وهو من أصحاب الغزل العفيف في بدو الحجاز اجتمع بعمر بن أبي ربيعة شاعر مكة الحضري، من أصحاب الغزل المادي الصريح، ووجه إليه النقد على قوله:

**قالت لها أختها تعاتبها** **لا تفسدن الطواف في عمر**

**قومي تصدي له لأبصره         ثم اغمزيه يا أخت في خفر**

**قالت لها: قم غمزته فأبى          ثم اسبطرت تشدفني أثري**

يوجه كثير النقد لعمر بن أبي ربيعة على هذه الأبيات قائلاً:

(أهكذا يقال للمرأة؟ إنما توصف بأنها مطلوبة ممتنعة).

وذوق كثير الذي تربى على الشعر العربي، وعلى الغزل العربي، وعرف ما تستحسنه العرب في المرأة وما تستقبحه، وما ينبغي أن توصف به الحرة هو الذي حمله على هذا النقد، ما يزال ذوق العربي حتى عصرنا الحاضر تستحسن أن توصف المرأة بالحياة والإباء والخجل والامتناع، ولا يستسيغ أن تكون المرأة طالبة تغازل الرجل وتنشط في التصدي له، أما هو فيأبى ويجري أمامها.

وكثير فيما عابه على عمر بن أبي ربيعة يعتمد على ذوق العربي الذي يأبى أن تصور المرأة إلا متسمة بالحياة والتمتع وما إلى ذلك من صفات المثالية.

**ثانياً مدرسة الشام:**

وهي مدرسة المدح، وحوله قامت حركة نقدية في قصور الخلفاء وأنديتهم، كتلك التي قامت في الحجاز حول الغزل.

والنقد هنا كما في الحجاز يعتمد على الذوق الفطري المصقول بطول النظر في الشعر، واستيعاب نماذجه، وتمثل طرائق العرب في التعبير والتصوير.

والنقد في هذه المدرسة غالباً ما اتجه الى تقييم الحركة الشعرية على ضوء اقترابها وابتعادها عن القيم الفنية الموروثة وبخاصة في شعر المدح وبهذا كان النقد ينحو منحى اتباعياً تأثرياً، حيث جنح النقاد في كثير من نظراتهم النقدية أو لمحاتهم الذوقية التي أبدوها، إلى مدى ما ظفر به البيت أو الأبيات من اتباع للنماذج القديمة من حيث إصابة المعنى ودقة الوصف والتعبير عن الغرض.

وكان الخلفاء أنفسهم هم عمد هذه المدرسة وكان عبد الملك بن مروان على رأس خلفاء بني أمية في مجال النقد والمناقشة، وكان صاحب ذوق أدبي راق يقصده الشعراء بمدحهم فيدقق في معاني شعرهم بذوقه اللطيف وحسه الرهيف، الذي كان ينفذ الى أعماق النص يكشف عن جماله أو يبين رداءته.

ومن صور نقده ما رواه صاحب الموشح من أن الراعي النميري أنشده قصيدته التي منها قوله:

**أ خليفة الرحمان إنا معشر         حنفاء نسجد بكرة وأصيلا**

**عرب نرى لله في أموالنا       حق الزكاة منزلا تنزيلا**

فقال عبد الملك " ليس هذا شرح إسلام وقراءة آية".

ويفيد هذا التعليق أن عبد الملك لم يقبل من الشعر ما كان تقديراً لمسائل دينية أو خلقية فليس هذا وظيفة الشعر، وإنما هو: شعور وإحساس يعبر عنهما في بيان جميل ونغم بديع وتصوير مفتن، أما ما قاله الراعي فليس شعراً، لأنه لا عاطفة فيه ولا شعور وإنما هو تقرير لحقائق يعرفها العامة.

ومنها أن كثير أنشده مادحاً قوله:

**على ابن أبي العاصي دلاص حصينة     أجاد السدى سردها وأذالها**

**يئود ضعيف القوم حمل قتيرها            ويستنضلع القرم الأشم احتمالها**

فقال عبد الملك: قول الأعشى لقيس بن معد يكرب أحب الي من قولك، إذ يقول:

**وإذا تجيء كتيبة ملمومة         شهباء يخشى الزائدون نهالها**

**كنت المقدمة غير لابس جنة      بالسيف تضرب معلما ابطالها**

فقال: يا أمير المؤمنين: وصف الأعشى صاحبه بالطيش والخرق والتغرير، ووصفتك بالحزم والعزم، فأرضاه.

ومن الواضح أن كثيراً وصف عبد الملك بن مروان بأنه يحتاط لنفسه في الحرب بدليل أنه يلبس درعا حصينة محكمة الصنع يثقل حملها على الضعيف، والاحتياط من صفات ذوي الحزم والعزم والعقل وبعد النظر.

غير أن عبد الملك بن مروان –ولابد أنه لحزمه وعزمه وبعد نظره كان يدخل المعركة محتاطا لها- لا يرضى بهذا الوصف الذي يطابق واقعه، وإنما يريد من الشاعر أن يبالغ في شجاعته فيصوره محاربا باسلاً يتقدم جنوده، ويتحدى أعداءه، غير حذر ولا محتاط إذ لا يرتدي درع الوقاية، ولا يتخفى عن القوم بل يعلمهم بمكانه ويمض يجندل الأبطال من أعدائه.

ومنها ما أورده صاحب الأمالي من أن كثير عزة دخل على عبد الملك بن مروان فقال له، أأنت كثير عزة؟ فقال: نعم، قال أن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه، فقال: يا أمير المؤمنين، كل عند محله رحب الفناء، شامخ البناء، عالي السناء، ثم أنشأ يقول:

**ترى الرجل النحيف فتزدريه      وفي أثوابه أسد هصور**

**ويعجبك الطرير إذا تراه       فيخلف ظنك الرجل الطرير**

**بغاث الطير أطولها رقاباً       ولم تطل البزاة ولا الصقور**

**خشاش الطير أكثرها فراخا      وأم الصقر مقلات نزور**

**ضعاف الأسد أكثرها زئيراً       وأصرمها اللواتي لا تزير... الخ**

فقال عبد الملك: " لله دره، ما أفصح لسانه، وأضبط جنانه، وأطول عنانه، والله إني لأظنه كما وصف نفسه".

وإعجاب عبد الملك بأبيات كثير مرده إلى فصاحة الشاعر في تصوير معانيه وصدقه في وصف هذه المعاني وصفاً قوامه ترتيب الفكر وإجادة التعبير عنه.

ومنها ما روي أنه كان ذات ليلة في سمره مع أهل بيته وخاصته، فقال لهم: ليقل كل واحد منكم أحسن ما قيل في الشعر، وليفضل من رأى تفضيله فأنشدوه وفضلوا، فقال بعضهم: امرؤ القيس، وقال بعضهم، النابغة، وقال بعضهم: الأعشى، كلما فرغوا قال: أشعر هؤلاء والله عندي الذي يقول: ثم أنشد شعراً لمعن بن أوس من قصيدة التي مطلعها:

**وذي رحم قلمت أظفار ضغنه       بحلمي عنه وهو ليس له حلم**

**يحاول رغمي لا يحاول غيره      وكالموت عندي أن يحل به الرغم**

**فإن أعف عنه أغض عينا على قدي       وليس له بالصفح عن ذنبه علم**

**صبرت على ما كان بيني وبينه       وما تستوي حرب الأقارب والسلم... الخ**

فهذه النماذج التي سقناها لعبد الملك بن مروان تدل على أنه كان أديبا ناقداً عالماً بما قاله الشعراء في المعاني المتنوعة قديماً وحديثاً، ذا بصر بمسالك الشعراء و طرائفهم في المدح، يعتمد على الذوق في إدراك أسرار الجمال ومعرفة مواطنه، وبهذا كان نقده نقد عليم بالأدب، خبير بأحوال النفوس، قادر على التعمق في فهم الشعر وتذوقه.

**ثالثاً : مدرسة العراق:**

الشعر في هذه المدرسة يشابه الشعر الجاهلي في موضوعه وفحولته وأسلوبه، فالفخر بالأصول والعصبيات والصراع بين الشعراء خلف لنا شعر النقائض والأراجيز، واحتذاء النمط الجاهلي خلف لنا نوعاً من النقد يفاضل بين الشعراء ويوازن بين الأعمال الشعرية، ويميز بين طرائق التعبير على أساس

من فحولة الأسلوب... ونمو الحركات السياسية، خلف لنا نوعاً من الشعر الذي يرفض التوجه للأمراء والتمسح بالملوك واستجداء المال بالمدح- كما في الشعر الخارجي- نمت الى جواره حركة نقدية مالت إلى تقييم الشعر على ضوء التزامه بالقيم الدينية والخلقية.

ولا ننسى أن بيئة العراق بيئة علمية ثقافية امتزجت فيها الأصول العربية والأصول الأجنبية ولذلك تأثرت هذه المدرسة بالمنهج العلمي الذي اعتمد فيه نقادها غالباً على قواعد النحو وأصول اللغة، ويقيسون الأدب بمقاييسها، ويحاولون أن يخضعوا الشعراء لها.

تلك هي مدرسة اللغويين في العراق التي غلب عليها الطابع اللغوي والنحوي، وإن لم تهمل الجوانب المعنوية والتعبيرية الأخرى.

ولم يكن هؤلاء العلماء النقاد من اللغويين والنحويين، على درجة واحدة في التزام المقياس العلمي، فالحق أن منهم من كان نقده يقوم أساس على الأصول المقررة في اللغة والنحو والعروض، ومنهم من يميل إلى الأصول الأدبية الفنية في التعبير والتصوير .

وهؤلاء العلماء قد أفادوا النقد الأدبي من جهات ثلاثة:

الأولى: إنه كانت لهم آراؤهم القيمة في نقد الشعر والحكم على الشعراء حكما يستند على بعض الأصول والأسس الموضوعية

والثانية: إنهم جمعوا كل ما قاله الأدباء والنقاد قبلهم في الشعر والشعراء.

والثالثة: إنه يعزى الى هؤلاء الفضل في رواية الخصومات التي قامت حول كبار الشعراء –فيما بعد- وذكر الحجج التي كان يوردها أنصار كل شاعر في تفضيله.

والنقد في هذه المدرسة قد اتجه اتجاهاً لغوياً، فاتجه إلى اللفظ من وجهته الإعرابية، ومن جهة الأوزان والقوافي، وتعمقوا كذلك فنقدوه من ناحية الصياغة والصناعة والثقافة، ثم زاد التعمق والفهم للشعر والشعراء فكان التذوق والمتعة ولذة الموسيقى والإحساس بألوان من الصياغة منها ما هو رقيق سهل، ومنها ما هو صعب متلو، وعرفوا أنواع المعاني الصائبة الفاسدة.

ومن أشعر نقاد هذه المدرسة: أبو عمرو بن العلاء والحضرمي وعنبسة الفيل، وحماد الراوية، وخلف الأحمر، والأصمعي، وأبو عبيدة والمفضل الضبي وغيرهم مما سنذكرهم أثناء النماذج التالية.

روى صاحب الموشح: أن عيسى بن عمر أخذ على النابغة الذبياني تورطه في قوله:

**كأني ساورتني ضئيلة       من الرقش في أنيابها السم ناقع**

حيث قال: صحته (ناقعاً) بالنصب على الحال.

ومثله تخطئه أبي عمرو بن العلاء ابن قيس الرقيات في بيته:

**تبكيكم أسماء معولة       وتقول ليلى وارز يئتيه**

بقوله: كان ينبغي أن يقول: وارز يتاه، كما تقول: واعماه واخياه.

وكان أبو عبد الله الحضرمي النحوي شديد التعقب لشعر الفرزدق فنقده في بيته:

**وعض زمان يا بن مروان لم يدع         من الناس إلا مسحتا أو مجلف**

بأنه عطف المرفوع وهو "مجلف" على المنصوب (مسحتا).

وهذه النماذج ومثلها كثير في تراب النقاد والعلماء في ذلك العصر، قد انصبت على قواعد الإعراب في الأبيات، حيث عاتب فيها ما خرج على اصول تلك القواعد، التي وضعها العلماء بعد استقرائهم كلام العرب الخلص، وهو نقد نحوي، ويتمثل في تخطئة الشعراء في قواعد الإعراب.

ومما يتصل بنقد العلماء في ذلك العصر تناولهم الشعر من ناحية عناصر الشعر ومن ذلك: ما لاحظه يونس بن يونس بن حبيب من كثرة الإقواء في شعر جرير كقوله:

**عرين من عرينة ليس منا      برنت إلى عرينة من عرين**

**عرفنا جعفرا وبني عبيد       وأنكرنا زعائف آخرين**

فالنون " في عرين " مكسورة، وقد كسر من أجلها نون (آخرين) لمناسبة حركة الروي وصحتها الفتح.

ولم يتوقف نقد أصحاب هذه المدرسة عند الأصول الفنية التي تتصل بالنحو واللغة والعروض، بل تعداه الى الأصول الفنية التي تتصل بالأدب، ونورد نماذج من نقدهم يتبين من خلالها نظرتهم الى الأصول الفنية.

ذكر صاحب الموشح بسنده أن الأصمعي قال: قرأت على خلف شعر جرير- فلما بلغت قوله:

**ويوم كأبهام القصاة محبب       الى هواه غالب لي باطله**

**رزقنا به الصيد الغرير ولم تكن        كمن نبله محرومة وحبائله**

**فيا لك يوماً خيره قبل شره        تغيب واشيه وأقصر عاذله**

فقال: ويله: وما ينفعه خبر يؤول الى شر؟ قلت له، هكذا قرأته على أبي عمرو، فقال لي: صدقت وكذا قال جرير، وكان قليل التنقيح مشرد الألفاظ وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا كما سمع، فقلت، فكيف يجب أن تقول؟ قال: الأجود له لو قال: فيالك يوما خيره دون شره، فأورده هكذا، فقد كانت الرواة قديماً تصلح من أشعار القدماء، فقلت: والله لا أرويه بعد هذا إلا هكذا".

فنقد خلف بيت جرير تناول عنصرين من عناصر الشعر هما، المعنى الذي تورط فيه جرير وجانب الصواب فيه، واللفظ الذي لم يحكم جرير صنعته وسبكه وهو نقد فني دقيق.

وكان أبو عمرو بن العلاء يقول في شعره ذي الرمة: "إنما شعره نقط عروس: يضمحل عن قليل، وأبعار ظباء: لها مشم في أول شمها ثم تعود الى أرواح البعر.

فقد شبه شعر ذي الرمة بنقط العروس الذي يذهب بالغسل، وبأبعار الظباء التي لها رائحة مقبولة من أثر النبت الطيب الذي تأكله، ثم لا تلبث أن تزول أي أن شعره حلو أول ما تسمعه، فإذا كررت إنشاده ضعف، بمعنى أنه غير عميق الأثر في النفس، وإنما هو كالشيء البراق يعطي دفعة واحدة كل ماله من رواء، وقد رأى الأصمعي في شعر ذي الرمة مثل هذا الرأي في قوله" إن شعر ذي الرمة حلو أول ما نسمعه فإذا كثر إنشاده ضعف، ولم يكن له حسن.... إلخ.

ومن هنا نرى أن أبا العلاء يهتدي من خلال حديثه عن ذي الرمة إلى أن حلاوة اللفظ وخلابة الصورة لا تكفيان وحدهما في الحكم بالجمال للشعر، بل لابد من أن تكمن فيه عناصر ذاتية يبقى بها جديدا على طول الإنشاد، وبهذا يجمع بين الشكل والمضمون في الصورة الشعرية.

وذكر أبو عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء قال: كان عدي بن زيد في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم، يعارضها ولا يجري مجاريها، والعرب لا تزوى شعره، لأن ألفاظه ليست بنجدية، وكان نصرانيا من عباد الحيرة قد قرأ الكتب.

وقال الأصمعي: " كان عدي لا يحسن أن ينعت الخيل، وأخذ عليه قوله في صفة الفرس" فارها متتابعاً" وقال لا يقال للفرس " فاره " إنما يقال له " جواد " وعتيق" الخ.

فعدى في نظر الأصمعي مقصر في وصف الخيل وحاول الأصمعي أن يدلل على نقده بالمثل الذي ذكره من كلام عدي.

وهناك نظرات نقدية كثيرة تتسم بالدقة والعمق أثرت على الأصمعي، ومن أهمها الصلة بين الشعر وبيئته الاجتماعية وذلك حينما نظر في شعر حسان بن ثابت ، وأنه في الاسلام أضعاف منه في الجاهلية، لأن الشعر قائم على الاهواء والشر، فإذا دخل في الخير ضعف، وكأن الشعر في رأي الأصمعي صدى للحياة الاجتماعية، فالأصمعي حرص على تدعيم الصلة بين شعر حسان والحياة الاجتماعية في عهديه.

**للنقد الأموي سمات هي :**

- اتسع نطاق النقد في هذه الفترة وكثر الخائضون فيه حتى شمل الشعراء والأدباء والسوقة والملوك والرجال والنساء، مما جعله تنصب فيه أذواق مختلفة كثيرة ومما وسع آفاقه وعدد جوانبه .

2- تشعب القول في هذا النقد، وتعددت نواحيه بتعدد الأغراض التي برزت في هذا العصر فهناك نقد انصب على الغزل في بيئة الحجاز، وآخر انصب على المديح في بيئة الشام، وثالث تناول الفخر والهجاء في بيئة العراق.

3- رسم هذا النقد لبعض أغراض الشعر طريقها، وألم بجوانب هامة من أدبها فالنقاد الحجازيون وضعوا للغزل رسوما ، فكثير يستنكر على عمر ان يفضح الحرائر وعمر يستنكر على كثير ما لصقه بمحبوبته من مسخ وجرب وطرد.

والنقاد الشاميون وضعوا للمديح أدبه فدعوا الى سلامة مطالع القصائد، وبينوا أن ما يمدح به الملوك غير ما يمدح به الآخرون، فالملوك يوصفون بالرزانة والرصانة وأصالة الرأي وعدم الجزع عند الحوادث وعلى هذا فليس أن يمدح الخليفة العظيم بصباحة الوجه وجمال المحيا وائتلاف التاج على المفرق.

4- النقد الأموي التفت الى بواعث الشعر عند الشاعر وأثرها في تجويد فن دون آخر، فعفة جرير أورثته هذا النسيب الرقيق الذي يبكي العجوز على شبابها والشابة على أحبابها، وفجور الفرزدق هو الذي جعله لا يحسن من هذا النسيب ما يحسنه جرير وبهذا ظهر اتجاه (النقد الشعوري) الى جانب النقد التذوقي، وهو خطوة متقدمة، ومظهر جديد في النقد الأدبي في العصر الأموي".

5- بني النقد في العصر الأموي على الذوق الفطري وخاصة في بيئة الحجاز، وقد عملت البيئة والحضارة في تهذيبه، وأقيم على الطبع والسليقة ومن ثم كان التعليل فيه فطريا ساذجاً بعيداً عن روح العلم والمنهج.

6- اتجه النقد بصفة عامة الى الوضوح والسهولة، واتسم بالأصالة الفنية والعمق في فهم النصوص، وعلى ضوء الذوق المثقف الزكي، أو التعليل العلمي.

7- ظهور اتجاهات جديدة في النقد، تتجه الى المعاني والأفكار والتصوير وتصحيح الخيال لدى بعض الشعراء، كما رأينا في تصحيح خلف لرواية جرير (خيره قبل شره) الى خيره دون شره.

**المحاضرة الرابعة**

**النقد في العصر العباسي**

**عوامل ازدهار النقد في العصر العباسي هي :**

**1- غزارة الثقافة:**

بدأت الثقافات الأصلية والوافدة تتفاعل في العقول، وتحدث تحولاً كبيراً في الذوق، وقد شمل هذا التحول الشعر فبدأ يتجه الثراء والوحدة، والشاعر الذي بدأ يحدد لنفسه إطاراً فنياً ينظم فيه، وفلسفة خاصة يشعر خلالها. كم برزت اتجاهات فنية استقطبت بعض الشعراء فتحمسوا لها وأقبلوا عليها كمذهب البديع أو شعراء الصنعة، وكمذهب الشعراء المطبوعين أو الشعراء العرب الذي وقف عند قمته البحتري، وبدأ الشعراء ينقلون ما وعته ذاكرتهم من فكر غربي الى سياحة الشعر العربي كما فعل أبو العتاهية ، كما شملت الناقد الذي بدأ يلاحظ الظواهر، والقضايا ويبحثها بموضوعية ويبدي آراءه فيها على أساس من اتجاهاته وميوله ومعتقداته الفكرية، ويحلل ويعلل ليصل الى أحكام واستنتاجات مفيدة.

**2- عناية الخلفاء والامراء بالشعراء:**

كان للخلفاء والأمناء في المجالس دورهم في نقد الأدب، فهم يستجيدون ويوازنون بين قول وآخر، وقد يكون للعلماء وجود فيدلون بآرائهم اللغوية والنحوية، فقد اشتهر أن الأخفش كان يحضر بعض هذه المجالس، ويدلي برأيه فيها ووجد في قصور الخلفاء لون آخر كان له بعيد الأثر في تطور النقد الأدبي، ألا وهو الغناء الذي انتشر في ذلك العصر انتشاراً واسعاً، وأدت الألحان والموسيقى دوراً كبيراً في استحداث أوزان جديدة، ومحو بعض الأوزان القديمة للشعر العربي، وقد عرض النقاد لهذه الأوزان وسجلوها.

**3- الخصومة حول الشعراء:**

من العوامل التي اشعلت جذوة النقد وأذكت وطيسه في ذلك العصر خصومة النقاد حول بعض الشعراء العباسيين، ما بين متعصب لشاعر أو متعصب عليه، فلقد عمت شهرة بعض الشعراء وحميت المناقشات حول مذهبهم في مجالس الأدب وبين النقاد.

ولم يقف الأمر عند تلك المناقشات بل تعداه الى تأليف الكتاب في نقد شاعر لاتصافه من التحامل الذي وقع عليه، أو لتهجين شعره والحط من مذهبه، وقد حظى كل من أبي تمام وأبي الطيب المتنبي ما لم يحظ به غيرهما من خصومات حادة ومناقشات صاحبة حول شاعرية كل منهما وشعره، إلى حد فاق الاعتدال أحياناً الى التعصب لأحدهما أو التعصب عليه ، فمنهم من تعصب لأبي تمام ومنهم من تعصب عليه.

ونظر النقاد كذلك الى شعر البحتري وسهولته وجريانه على عمود الشعر فقارنوه بأبي تمام وكثرت في ذلك الأقوال والحجج، حتى وضع الآمدي كتابه الموازنة بين الطائيين، الذي لم يقتصر فيه على إيراد حجج كل فريق، بل أخذ في دراسة الشاعرين والموازنة بينهما في منهج تفصيلي منظم.

والخلاصة أن الخصومة حول الشعراء كانت من أعظم العوامل التي أثرت في النقد العباسي خاصة، والنقد العربي عامة، وذلك لأنها قدمت بعض الكتب التي تعرض "لمشكلات كثيرة تتعلق بالشاعر والطبع والتكلف، والبيئة والشعر وصلة الحياة والدين والأخلاق والناس، وأثره في النفس، ودوافعه وغاياته، وأسلوبه وجوانب الجمال فيه، وكانت هذه الكتب علامات في الطريق لتاريخ النقد ومذاهبه".

**4- نشاط حركة النقل والترجمة:**

ظهرت آثار هذا في القرن الرابع الهجري بوضوح، عند قدامة بن جعفر في كتاب (نقد الشعر)، وكتاب (نقد النثر) المنسوب إليه. كما ظهرت عند الرماني في كتابه (النكت في إعجاز القرآن)، وظهر ذلك عند نقاد القرن الخامس كالباقلاني في (إعجاز القرآن)، وابن سنان الخفاجي في (سر الفصاحة).

والخلاصة أن الترجمة كانت ذات أثر مباشر في فكر الأدباء والنقاد والمتكلمين، ولم ينجو من هذا الأثر إلا طائفة من طبقة الشعراء المحافظين الذين أعلنوا عن سخطهم لهذه الفلسفات.

**5- الأثر القرآني:**

من العوامل التي أثرت في تطور النقد العباسي القرآن الكريم فقد كان له أثراً مباشراً وأثراً غير مباشر، أما الأثر المباشر فبفضل جهود العلماء الذين تعرضوا لأسلوب القرآن وبيان جوانبه البيانية، محاولين إثبات إعجازه البياني بمقارنة الشعر العربي، وخصائص البيان العربي بصفة عامة، واستخدموا في ذلك الوسائل التي استخدمها نقاد الشعر، بل إن بعض الدراسات القرآنية في القرن الثالث الهجري قد استخدمت من المصطلحات البيانية ما لم يكن شائعاً حتى ذلك الوقت في دراسات نقد الشعر مثل كتاب (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة ، واختلطت مقاييس النقد بالدراسات القرآنية، فاستخدم علماء الإعجاز مصطلحات البديع وأبوابه في كشف بديع أسلوب القرآن للتوصل الى إعجازه.

**6- الحركة اللغوية:**

برز دور اللغويين في النقد في هذا العصر في أنهم أصبحوا سدنة الشعر وحراسه، فمن نوهوا به طار اسمه، ومن لوحوا في وجهه خمل وغدا نسياً منسيا. ويلقانا كثير من الشعراء يعرضون عليهم أشعارهم قبل إنشادها في المحافل العظام، فإذا استحسنوها مضوا فأنشدوا، وإن لم يستحسنوها ذهبوا يعاودون الكرة بصنع قصائد جديدة آملين أن تظفر باستحسانهم.

**7- العوامل الاجتماعية:**

كان من أهم الأسباب التي أدت الى ازدهار النقد في العصر العباسي –تلك الظروف والعوامل الاجتماعية التي طبعت الأدب والعلوم بطبائعها، وأثرت في فكر الشعراء والنقاد وعكست ملامحها عليهم، ودفعت النقاد الى دراسة ما يكون لهؤلاء الادباء من خصائص أسلوبية يفرقون بها بين أديب وآخر.

**طبيعة الحركة النقدية في العصر العباسي:**

إذا وصلنا إلى النقد في العصر العباسي رأينا إمعانًا في الحضارة وإمعانًا في الترف ورأينا الشعر والأدب يتحولان إلى فن وصناعة بعد أن كانا يصدران عن طبع وسليقة، حتى لنرى كثيرًا من الكتاب والشعراء من الموالي الذين عدوا عربًا بالمربى، ورأينا الثقافة تعظم وتتسع وتشمل فروع المعرفة كلها لا تقتصر على الثقافة الدينية والأدبية، ورأينا الثقافات الأجنبية تتدفق على المملكة الإسلامية من فارسية وهندية ويونانية ورأينا كل مجموعة من المعارف تتحول إلى علم حتى اللغة والأدب والنحو والصرف.

فكان طبيعيًّا أن يتحول الذوق الفطري إلى ذوق مثقف ثقافة علمية واسعة، وأن يتأثر النقد الأدبي بهذه الثروة العلمية والأدبية الواسعة.

**المحاضرة الخامسة**

**النقد الانطباعي مفهومه ومجالاته ونماذج من نصوصه**

**أولا: مفهوم النقد الانطباعي:**

هو نقد لم يصدر عن تفكير عميق، ولا عن تأمل ودراسة معمقة، يخضع للمزاج الخاص الفردي، لذلك يكون أحكاما جزئية عامة سريعة غير معللة، يصف فيها الناقد النص ولا يبين الأسباب التي دفعته إلى ذلك.

ولأنه مبني على الانفعال والتأثر والنظرة العجلى، ولم يبن على قواعد وأسس علمية صحيحة متفق عليها، فإنه يتميز بالسذاجة والبساطة والمبالغة في إصدار الأحكام.

وبالنظر إلى ذلك، يمكن الجزم بأن كثيرا من الآراء النقدية التي شكلت اللبنات الأولى للنقد الأدبي العربي في عصوره الأولى، تندرج ضمن هذا النوع من النقد، انطلاقا مما اتصفت به من بساطة في التعليل وانقياد واضح للإحساس والانطباع، واقتصاره على عبارات معينة، كأن يقول الناقد: هذا أشعر بيت، هذه أجمل قصيدة، هذا أشعر الجن والإنس...

**ثانيا: نماذج وصور منه:**

**أ/ العصر الجاهلي:**

جاء في رواية عن المرزباني: ''مر المسيب بن علس بمجلس قيس بن ثعلبة فاستنشدوه فأنشدهم، فلما بلغ قوله:

**وَقَدْ أَتَنَاسَى الهَمّ عِنْد إذكاره \*\*\* بِناجٍ عليه الصّيْعرية مُكدَمِ**

فقال طرفه وهو صبي يلعب مع الصبيان: استنوق الجمل،وهو يريد أن الشاعر وهو يصف الجمل، ذكر من أوصافه ما يخص الناقة (الصيعرية)، وهي سمة تكون في عنق الناقة لا في عنق الجمل. وقد استعملها المسيب استعمالا خاطئا.

ومن ذلك ما يروي أن: النابغة الذبياني كان تضرب له قبة حمراء من أدم بسوق عكاظ فتأتيه، الشعراء فتعرض عليه أشعارها. فكان أول من أنشده الأعشى: ميمون بن قيس، أبو بصير، ثم أنشده حسان بن ثابت الأنصاري:

**لَنَا الجفنات الغرّ يَلْمَعْنَ بالضّحَى\*\*\*وَأَسيافُنا يَقْطُرْنَ من نَجْدَةٍ دَما**

**وَلَدْنا بَنِي العَنْقاء وابني مُحـرّق\*\*\*فأكْرِم بنا خالا وأَكرِم بنا ابنما**

فقال له النابغة: ''أنت شاعر، ولكنك أقللت جفانك وأسيافك، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك''.

وروي أن الزبرقان بن بدر وعمر بن الأهتم وعبدة بن الطبيب والمخبل السعدي تحاكموا إلى ربيعة بن حذار الأسدي في الشعر، أيهم أشعر؟. فقال للزبرقان: أما أنت فشعرك كلحم أسخن لا هو أنضج فأكل ولا ترك نيئا فينتفع به، وأما أنت يا عمرو فإن شعرك كبرود حبر، يتلألأ فيها البصر فكلما أعيد فيها النظر نقص البصر، وأما أنت يا مخبل، فإن شعرك قصر عن شعرهم وارتفع عن شعر غيرهم، وأما أنت يا عبدة فإن شعرك كمزادة أحكم خرزها فليس تقطر ولا تمطر''.

(حبر): مفردها حبرة وهي ملاءة من الحرير كانت ترتديها النساء في مصر عند خروجهن. خرزها: الخرز، الخياطة، والمزادة وعاء يحمل فيه الماء في السفر.

روي أن امرئ القيس وعلقمة احتكما لزوجة امرئ القيس أم جندب للفصل بينهما أيهما أشعر على أن ينظما شعرا على روي واحد وقافية واحدة، فقال امرؤ القيس:

**فللسوط الهوب، وللساق درة\*\*\*وللزجر منه وقع أخرج مهذب**

(ألهوب): اجتهاد من الفرس في عدوه. درة: إذا غمر الفرس بالساق أسرع. الأخرج: ذكر النعام. مهذب: المسرع في حربه.

وقال علقمة:

**فأدركهن ثانية من عنانه\*\*\*يمر كمر الرائح المتحلب**

(الرائح): السحاب. المتحلب: الساقط المتتباع. أو هو السائل كأنه لسرعته لا يجري ولا يتحرك.

وبعد الانتهاء حكمت أم جندب لعلقمة محتجة بأن زوجها أجهد فرسه بسوطه وأتعبه بساقه على عكس علقمة.

فهذه الأحكام النقدية جميعها عامة وليدة ذوق فطري متعجل، كما هو الشأن في أغلب نماذج العصر الجاهلي، إذ تجمع بين الجزئية والتعميم والتعبير عن الانطباع الكلي، دون اللجوء إلى التعليل.

**ب/ العصر الإسلامي:**

ولقد استمر هذا النوع من النقد في العصر الإسلامي، مع تبدل في وجهة النظر للشعر وفي الموقف منه، إذ أصبحت الأحكام النقدية تعتمد الصدق والقيم الخلقية، وتستمد معاييرها من القرآن الكريم والسنة الشريفة.

وقد جمعت المصادر عددا من الروايات والأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم توضح مدى حرصه على أن يتخذ الشعراء من القرآن الكريم منهجهم، ومنها أن النابغة أنشده قائلا:

**أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى \*\*\* ويتلو كتابا كالمجرة نيرا**

**بلغنا السماء مجدنا وجدودنا \*\*\* وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا**

فقال له رسول الله: ''إلى أين يا أبا ليلى؟ فقال: إلى الجنة يا رسول الله. فقال: إن شاء الله.''

وأنشده حسان بن ثابت بعد أن هجاه أبا سفيان:

**هجوت محمدا فأجبت عنه\*\*\*وعند الله في ذاك الجزاء**

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ''جزاؤك عند الله الجنة يا حسان''.

وأثر عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه كان يستحسن قول طرفة بن العبد:

**سَتُبدِي لكَ الأيامُ ما كنتَ جاهلا\*\*\*ويأتيكَ بالأخبار من لم تزوّدِ**

وكان أبو عمرو بن العلاء يقول على شعر ذي الرمة: ''إنما شعره نقط عروس: يضمحل عن قليل، وأبعار ظباء لها مشم في أول شمها، ثم تعود إلى أرواح البعر''.

فشعر ذي الرمة –حسبه- جيد في أول إنشاده، فإن أعدت ذلك ضعف وذهب رونقه تماما كما تختفي نقط العروس بعد الغسل ورائحة بعر الظباء بعد مدة من شمها.

(نقط العروس): ما تنقط به المرأة خدها من السواد للتزيين. مشم: رائحة طيبة تشم لما تأكله الظباء من نبات طيب الرائحة كالشيخ والقيصوم، فإذا جف صار كسائر البعر.

روى ابن سلام أن عكرمة بن جرير سأل أباه عن الشعراء، فقال: ''الأخطل يجيد نعت الملوك ويصيب صفة الخمر''. وحكم الأخطل على جرير بأنه كان ''يغرف من بحر، والفرزدق ينحت من صخر''.

وأشهر الأمويين دراية بالشعر، وقربا من الشعراء عبد الملك بن مروان لكثرة بقائه في الحكم من جهة، ولتذوقه الشعر من جهة أخرى، وله مواقف من أقوال الشعراء سنختار منها يروى أن عبد الملك بن مروان اعترض على قول الشاعر فيه:

**على ابن أبي العاص دلاس حصينة \*\*\* أجاد السدي سردها وأذالها**

**يؤود ضعيف القوم حمل قتيرها \*\*\* ويستضلع القوم الأشم احتمالها**

مفضلا عليه قول الأعشى لقيس بن معد يكرب:

**وإذا تجيء كتيبة ملمومة\*\*\*شهباء يخشى الزائدون نهالها**

**كنت المقدم غير لابس جنة\*\*\*بالسيف تضرب معلما أبطانها**

وسبب الرفض ميل الخليفة للمبالغة رغم معرفته بأن قول الشاعر فيه مناسب للوضع الحربي جدا.

(دلاص): دروع لينة براقة ملساء. السدي: صانع السداء وناسج الثوب. سردها: نسجها. أذالها: أطال ذيلها. يؤود: يثقل ويصعب. قتيرها: مسامير الدرع أو الدرع نفسها. القرم: السيد العظيم. الأشم: المرتفع.

شهباء: صافية الحديد. نهال: الرماح المتعطشة للدماء. الجنة: الدرع الواقية. معلما: متحديا أعداءه بأن يعلمهم مكانه في الحرب.

وروي عنه أنه وقف موقفا سلبيا من قول أحد الشعراء:

**أهيم بدعد ما حييت فإن أمت\*\*\*فواحزني من يهيم بها بعدي**

وعدله بقوله هو:

**أهيم بدعد ما حييت فإن أمت\*\*\*فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي**

وعليه ظل النقد العربي وحتى العصر الأموي يستلهم الذوق والشعور، وبقي على حاله جزئيا بسيطا فطريا، لا يرجع الناقد فيه إلى مقاييس دقيقة بل إلى ذوقه الأدبي المرهف.

**المحاضرة السادسة**

**المعايير النقدية عند ابن سلام الجمحي**

يبدو لنا من خلال النظر في الحجج التي ساقها ابن سالم عند تقديمه كل شاعر أن أهم الأسس الجمالية التي جرى على أساسها الاختيار والتقسيم هي الآتية:

**1.ابتكار موضوعات وأساليب جديدة:**

بمعنى أن يسبق الشاعر إلى معان وأفكار جديدة، وإلىطرائق في التعبير غير معهودة. وهذا هو الأساس الذي بني عليه تقديم امرئ القيس. قال ابن سالم: "فاحتج امرئ القيس من يقدمه قال: ما قال ما لم يقولوا، ولكنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها، واستحسنتها العرب واتبعه فيها الشعراء: استيقاف صحبه، والت بكاء في الديار، ورقّة النسيب، وقرب المأخذ، وشبّه النساء بالظباء والبيض، وشبّه الخيل بالعقبان والعصي وقيد

الأوابد، وأجاد في التشبيه، وفصل بين التشبيه وبين المعنى".

**.2جودة التشبيه و الوصف :**

وهو أساس اعتمد عليه ابن سالم في عملية التفضيل، وهو المقياس الذي سيغدو أحد أركان عمود الشعر. فبوحيٍ من هذا المقياس قدم امرؤ القيس، إذ كان من مظاهر شاعريته جودة تشبيهاته. قال ابن سلام: "واستحسن الناس من تشبيه امرئ القيس:

**كأن قلوب الطيرِّ رطبا ويابسا لدى وكرها العُنّاب والحَشَفُ البالي**

وقوله:

**كأني بفتخاء الجناحين لَقْوةٌ دفوفٌ من العقبان طأطأتُ شملالُ**

**3.جودة الديباجة وكثرة الماء والرونق:**

كثيرا ما استعمل العرب كلمتي الديباج والرونق للتعبير عن عذوبة الشعر وطلاوته لفظا ومعنى، وارتياح النفس إليه واستئناسها به ؛ فالديباج ثوب ناعم جيد من الحرير والإبر يسم، ورونق الشيء ماؤه وحسنه وإشراقه. وعلى هذا فإن الشعر الذي يوصف بأنه كثير الماء والرونق، هو شعر "يبعث في النفس إحساسا يشبه إحساس من يبصر رونق السيف والضحى ونضارة الشباب وإشراقه." وهذا هو الأساس الذي بُني عليه تفضيل النابغة. قال ابن سالم: "وقال من احتج للنابغة: كان أحسنهم ديباجة شعر، وأكثرهم رونق كلام، وأجزلهم بيتا. كأن شعره كلام ليس فيه تكلف". وهو ما يدل على قوة الطبع والتمكن من أسباب الصنعة.

**4.الحصاف:**

تعني الحصافة جودة الرأي وإحكامه وسداده. وتعني في الشعر أن تكون معانيه حكيمة دالة". وقد رأى بعضهم شيئا من هذا في شعر زهير فانتصر له لهذا السبب قال ابن سلام: "وقال أهل النظر: كان زهير أحصفهم شعرا، وأبعدهم من سخف.".

**5.النظم على الأبحر المختلفة:**

وهو معيار نوعي وكمي يحمَد للشاعر قدرته على النظم في الأغراض المختلفة؛ وهو ما يوفر لشعره ثراء موسيقيا وقدرة على معالجة أغراض كثيرة. وقد كان هذا أحد الأسس التي فُضّل لأجلها الأعشى. فقد قال ابن سلام إن من قدّم الأعشى احتج له بأنه "أكثرهم عروضا، وأذهبهم في فنون الشعر، وأكثرهم طويلة جيدة، وأكثرهم مدحا وهجاء وفخرا ووصفا". وقد سماه معاوية بسبب هذه الموسيقية العالية "صنّاجة العرب".

**6.النظم في الأغراض المختلفة:**

يوشك النقد العربي أن يُجمع على تفضيل الشاعر الذي ينظم في الأغراض المختلفة على شاعر الغرض الواحد أو الغرضين. وعلى هذا الأساس فضل جرير. قال بشّار العقيلي: "كان جرير يحسن ضروبا من الشعر لا يحسنها الفرزدق." وعلى هذا الأساس كذلك جٌعل كُثيّر في الطبقة الثانية من الشعراء الإسلاميين، بينما أُخّر جميل إلى الطبقة السادسة مع أنه أقوة منه غزلا وأصدق صبابة. قال ابن سلام: "وكان للكُثيّر في التشبيب نصيب وافر، وجميل مقدّم عليه في النسيب وله في فنون الشعر ما ليس لجميل، وكان جميل صادق الصبابة. وكان كثيّر يتقول ولم يكن عاشقا".

**7.الإجادة في أغراض خاصة:** في الشعر أغراض لها في اهتمام العرب مقام خاص ؛ فهي لذلك أدلّ على الفحولة من غيرها. فالشاعر الذي يقول في تلك الأغراض ويجيد القول يحظى بمزيد تقدير، ويُقدّم على الشعراء الذين لا يجيدون في تلك الأغراض . قال ابن سلام: "وسألت الأسيدي عنهما) يعني جريرا والفرزدق( فقال: بيوت الشعر أربعة: فخر ومديح ونسيب وهجاء ؛ وفي كلها غلب جرير." وقال : "قال أصحاب الأعشى: الأعشىهوأكثرهمعروضا،وأذهبهمفيفنونالشعر،وأكثرهممدحاوهجاءوفخراووصفا،كل ذلك عنده."

**8.استقصاء المعنى وبلوغ الغرض:** وهو الذهاب في المعنى الذي يأخذه الشاعر والغرض الذي يتناوله إلى حد من القوة والاستقصاء يؤدي إلى بلوغ الغرض من الإيجاع الشديد للمهجو في حال الهجاء ، ومن إصابة الصورة الكاملة المُعجبة في حال المديح . يقول ابن سلام: " ولقد هجا الراعي فأوجع . قال لابن الرقاع العاملي:

**لوكنتَ من أحدٍ يُهجى هجوتُكُمُ يا ابن الرقاع ،ولكن لستَ من أحدّ**

**تأبى قضاعةُ أن تعرف لكم نسَبا وابن انزارٍ، فأنتم بيضة البلدِّ ِ**

ويقول عن كُثيّر: "ورأيتُ ابن أبي حفصة يعجبهم ذهبه في المديح جدا. يقول: كان يستقصي المديح."

**9.كثرة الجياد الطوال** وهو مقياس معتبر في النقد العربي ، يدل عليه قول ابن سلام عمن انتصر للأعشى: " وأكثرهم طويلةً جيدة ". ويتجلى أكثر في قوله عن الأسود بن يعفر النهشلي: "وكان الأسود شاعرا فحلا. وكان يكثر التنقل في العرب يحاورهم ، فيذم ويمدح ، وله في ذلك أشعار. وله واحدة رائعة طويلة لاحقة بأجود الشعر ، لو كان شفعها بمثلها قدمناه على مرتبته ،وهي:

**نامَ الخل يُّوما أحُسُّرُ قاديوا لهمُّ محتضر لديَّ وسادي**

**10 .القصيدة الواحدة المتفوقة:**

جعل ابن سلام الواحدة المتميزة في الطبقة السادسة من طبقات الجاهليين. يقول : " أربعة رهط ،لكل واحد منهم واحدة . وهؤلاء الأربعة هم: عمرو بن كلثوم ،وله قصيدته التي أولها:

**ألا هبّي بصحن كف اصبحينا**

والحارث بن حلزّة اليشكري ، وله قصيدته التي يقول فيها:

**آذن تناب بينها أسماءُ**

وعنترة بن شدّاد العبسي ، وله قصيدته التي يقول فيها:

**يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحا دار عبلة واسلمي**

وسويد بن كاهل اليشكري ، وله قصيدته التي أولها:

**بسَطَتْ رابِّعةُ الحبلَ لنا فبَسَطنا الحبلَ منها فانقطعْ**

وقبل هذا قيل عن طرفة: "فأما طرفة فأشعر الناس واحدةً ، وهي قوله:

**لخولةَ أطلالٌ ببرقةِّ ثهمدِّ وقفتُ بها أبكي و أبكي إلى الغدِّ**

وتليها أخرى مثلُها وهي:

**أصحوتَ اليومَ أمشاقَ كَهِّرّ ْ ومن الحبِّ جنونٌ مستعِّرْ "**

وقد جعله ابن سلام في الطبقة الرابعة.

فهذه أهم المقاييس التي اعتمدها ابن سلام في ترتيب الشعراء الجاهليين والإسلاميين في طبقات الفحول من الشعراء. وقد ظلت رصيدا نقديا يستقي منه النقاد اللاحقون بعض مادتهم النقدية وبعض معاييرهم في نقد الشعر ؛ فكان لابن سلام في ذلك فضلا لسبق والتأسيس والتأليف المنهجي لما تفرق من ملاحظات النقاد في عصره.

**المحاضرة السابعة**

**قضية الانتحال في النقد العربي القديم**

**الانتحال في اللغة :**

وجاء في مقاييس اللغة في مادَّة نَـحَـل: النون تدل على دِقَّة وهِزال، والحاء على عطاء، واللام على ادِّعاء.

**الانتحال في الاصطلاح :**

: "هو ان يأخذ الشاعركلام غيره ،بعد علمه بنسبته له ، بلفظه كله ومن غير تغيير لنظمه ، أو أن يأخذ المعنى، وتبدل الكلمات كلها أو بعضها بما يرادفها".

ويمكننا ايجاز مفهوم الانتحال بأنه " نسبة الشعر لغير قائله ، سواء أكان ذلك بنسبة شعر رجل إلى آخر، أو أن يدعى الرجل شعر غيره لنفسه ، أو أن ينظم شعرا وينسبه لشخص شاعر أو غير شاعر ،سواء أكان له وجود تاريخي ، أم ليس له وجود تاريخي".

**أسباب الانتحال عند ابن سلام الجمحي:**

دون ابن سلام في كتابه "طبقات فحول الشعراء" كثيرًا من ملاحظات أهل العلم والدراية في رواية الشعر القديم ، وأضاف إلى ذلك كثيرًا من ملاحظاته الشخصية.

وهذا الكتاب في الحقيقة هو أول كتاب أثار في إسهاب مشكلة الانتحال في الشعر الجاهلي، وقد ردها إلى عاملين:

عامل القبائل التي كانت تتزيد في شعرها لتتزيد في مناقبها، وعامل الرواة الوضاعين، يقول: "لما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها استقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم، وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار؛ فقالوا على ألسن شعرائهم، ثم كانت الرواة بعد فزادوا في الأشعار،فالقبائل كانت تتزيذ في أشعارها وتروي على ألسنة الشعراء ما لم يقولوه، وقد أشار ابن سلام مرارًا إلى ما زادته قريش في أشعار الشعراء؛ فهي تضيف إلى شعرائها منحولات عليهم، وقد أضافت كثيرًا إلى شعر حسان ، "ويذكر أن من أبناء الشعراء وأحفادهم من كان يقوم بذلك، مثل داود بن متمم بن نُويرة؛ فقد استنشده أبو عبيدة شعر أبيه متمم، ولاحظ أنه لما نفد شعر أبيه جعل يزيد في الأشعار ويضعها، وإذا كلامٌ دون كلام متمم، وإذا هو يحتذي على كلامه؛ فيذكر المواضع التي ذكرها متمم والوقائع التي شهدها؛ فلما توالى ذلك علم أبو عبيدة ومن كانوا معه أنه يفتعله" ولعل في هذا ما يدل على أن الرواة من مثل أبي عبيدة كانوا يراجعون ما ترويه القبائل، وكانوا يرفضون منه ما يتبين لهم زيفه؛ إما بالرجوع إلى أصول صحيحة أو إلى أذواقهم وما يحسنون من نقد الشعر ومعرفتهم بالشاعر ونظمه، ويسوق لنا ابن سلام شكًّا في قصيدة أبي طالب التي روتها قريش في أشعارها والتي يمدح بها الرسول صلى الله عليه وسلم، ومعنى ذلك أنهم نظروا في شعر قريش فقبلوا منه ورفضوا. فهم يفحصون ويحققون في شعر المدينة كما فحصوا وحققوا في شعر قريش وغيرها من القبائل .

ويقدم لنا ابن سلام طائفتين من الرواة كانتا ترويان منتحلًا كثيرًا وتنسبانه إلى الجاهليين، طائفة كانت تحسن نظم الشعر وصوغه وتضيف ما تنظمه وتصوغه إلى الجاهليين، ومثَّل لها بحماد، ورأينا فيما مر بنا أشباهًا له في جَنَّاد وخلف الأحمر، وطائفة لم تكن تحسن النظم ولا الاحتذاء على أمثلة الشعر الجاهلي؛ ولكنها كانت تحمل كل غثاء منه وكل زيف، وهم رواة الأخبار والسير والقصص، من مثل ابن إسحاق راوي السيرة النبوية؛ إذ كانت تصنع له الأشعار ويدخلها في سيرته دون تحرز أو تحفظ، منطقًا بالشعر العربي من لم ينطقوه من قوم عاد وثمود والعماليق وطسم وجديس.

 ورفض ابن سلام والأصمعي وأضرابهما رواية الطائفتين جميعًا؛ فلم يقبلوا شيئًا مما يرويه أشباه حماد إلا أن يأتيهم من مصادر وثيقة، وكذلك لم يقبلوا شيئًا مما يرويه ابن إسحاق لا عن الأمم البائدة فحسب؛ بل عن عرب الجاهلية أنفسهم؛ إلا أن يجدوه عند رواة أثبات. يقول ابن سلام: وقد ذكر أبا سفيان بن الحارث أحد شعراء قريش الذين كانوا يناقضون حسان بن ثابت وشعراء المدينة: إن شعره في الجاهلية "سقط ولم يصل إلينا منه إلا القليل" ثم علق على ذلك بقوله: "ولسنا نعد ما يروي ابن إسحاق له ولا لغيره شعرًا، ولأن لا يكون لهم شعر أحسن من أن يكون ذاك لهم فهم كانوا يرفضون جملة ما يرويه ابن إسحاق وأشباهه من مثل عبيد بن شرية وينحونه عن طريقهم، يقول ابن سلام: "وليس يشكل على أهل العلم زيادة الرواة ولا ما وضعوا ولا ما وضع المولدون" مما حمله رواة القصص والأخبار من شعر غث "لا خير فيه ولا حجة في عربيته ولا أدب يستفاد ولا معنى يستخرج ولا مثل يضرب ولا مديح رائع ولا هجاء مقذع ولا فخر معجب ولا نسيب مستطرف".

ففي الشعر الجاهلي منتحل لا سبيل إلى قبوله، وفيه موثوق به، وهو على درجات منه ما أجمع عليه الرواة ومنه ما رواه ثقات لا شك في ثقتهم وأمانتهم من مثل المفضل والأصمعي وأبي عمرو بن العلاء. وقد يغلب المنتحل الموثوقَ به؛ ولكن ذلك لا يخرج بنا إلى إبطال الشعر الجاهلي عامة؛ وإنما يدفعنا إلى بحثه وتمحيصه مهتدين بما يقدم لنا الرواة الأثبات من أضواء تكشف الطريق .